ملخص البحث: مسارات أقلمة علم الاجتماع في التجربة الإيرانية

تزامن تدريس مادة علم الاجتماع في فرع الفلسفة مع تأسيس جامعة طهران عام 1934م. ويشكّل تأسيس «مؤسسة الدراسات والأبحاث الاجتماعية» في الجامعة المذكورة عام 1958م محطة مهمة في مسيرة المحاولات للدراسات السوسيولوجية في إيران. لا يعزى ازدياد محاولات «أقلمة» علم الاجتماع في إيران إلى فشل النظريات السوسيولوجية الغربية في تحليل المجتمع الإيراني فحسب، وإنّما إلى استمراء الذائقة الفلسفية الإيرانية منذ البداية لمثل تلك المحاولات. كان المناخ الفلسفي الإيراني في تلك الفترة يتأرجح بين فلسفة الفارابي وابن سينا والغزالي وابن عربي والملا صدرا من ناحية، والفلسفة الغربية من ناحية ثانية. وبطبيعة الحال كان لهذه الظروف التأثير الأكبر في تبلور الرؤية الفلسفية النقدية إزاء الحداثة (مع نزعة يسارية طبعاً) في المدرسة الإيرانية لعلم الاجتماع. وتأثرت تيارات عدة بالسيد أحمد فرديد رائدا للمدرسة الظاهراتية المقارنة للفكر العرفاني لابن عربي منها التيار النقدي المعادي للتغريب ويمثله داريوش شاسكن وداريوش آشور، وبعد الثورة الإسلامية الإيرانية السيد مرتضى آويني ومحمد مدد بور ورضا داوري، وإلى حدّ ما فخر الدين شادمان. إلى جانب هذا التيار، نزعت المدرسة التقليدية التي يمثلها السيد حسين نصر نحو فلسفة صدر الدين الشيرازي وانطلقت من مؤسسة الحكمة والفلسفة ثم انتقلت إلى مجال الاجتماع. ترك هذان التياران النقديان تأثيرهما على اتجاهات معظم الباحثين في مركز الدراسات والأبحاث الاجتماعية في جامعة طهران مثل إحسان نراقي وغلام عباس توسلي وجلال آل احمد، وأبو

الحسن بنى صدر، وحسن حبيبى، وغلام حسين ساعدى. كما أثّرت المدرستان المذكورتان بشكل خاص على تبلور الموجة اللاحقة المتمثلة بالدكتور علي شريعتي الذي خيّمت أفكاره على طلبة الجامعات الثوريين بعد الثورة الإسلامية، واتّسم المناخ آنذاك بخصوصية محلية وإسلامية وثورية ذي نزعة يسارية إلى حدّ ما. في العقدين الأوليين من عمر الثورة الإسلامية أدّت الحركة النقدية لعبد الكريم سروش في مقابل الدكتور شريعتي إلى سَوْق الأجواء صوب نزعة تعددية ليبرالية مع الاحتفاظ بعناصر الأقلمة. حظيت الثورة الإسلامية الإيرانية باهتمام العديد من علماء الاجتماع بوصفها ظاهرة يتعذّر تفسيرها في إطار أدبيات علم الاجتماع، وحتى محاولات ميشيل فوكو فشلت في سبر عمق هذه الظاهرة وتوضيحها. وكانت «الثورة الثقافية» بإشراف عبد الكريم سروش ومحمد تقي مصباح يزدي أهم مشروع ظهر بعد الثورة لأقلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية. كان المجلس الأعلى للثورة الثقافية بمثابة الهيئة العليا ومعهد دراسات الحوزة والجامعة في قم كمركز لإنتاج العلم من أهم المراكز المؤثرة في هذا المشروع، وقام كلّ من معهد الدراسات في قم وجامعة الإمام الصادق (ع) في طهران، وجامعة باقر العلوم في قم، وجامعة المفيد في قم، ومؤسسة الإمام الخميني في قم بدور في إعادة صياغة علم الاجتماع طبقاً للرؤى المحلية والإسلامية الإيرانية مع تباين زوايا نظر هذه المؤسسات إلى موضوع الأقلمة، ولكن بشكل عام كانت الدراسات المقارنة الإسلامية الغربية هي الطاغية على أعمالها. كما شكّل مشروع السيد منير الدين الهاشمي في مجمع العلوم الإسلامية في قم ثمّ لاحقاً مشروع المعهد العالي للعلوم والثقافة

الإسلامية في قم بنحو آخر مقاربتين خاصتين لهذا التراث. وبعيداً عن هذه المواجهات الفلسفية في أقلمة علم الاجتماع هناك موجة حديثة في طور النمو في أوساط الجيل الجديد من علماء الاجتماع، تركّز جهدها على رصد التجارب الناجحة في الميدان الاجتماعي الإيراني بعد الثورة. وعلى الرغم من أنّ هذه التجربة الأربعينية بحاجة إلى إطار نظري خاص بها، إلّا أنّه بالإضافة إلى الدراسات الفلسفية، فإنّ الدراسات النوعية تستحوذ على حصة كبيرة في المشروع الإيراني الإسلامي لعلم الاجتماع.